الفصل الثاني
صفة عرش الرحمن

أنزه الموجودات وأظهرها وأنورها وأشرفها وأعلاها ذاتًا وقدرًا وأوسعها؛ عرش الرحمن جَلَّ جَلَاله، ولذلك صلح لاستوائه عليه، وكل ما كان أقرب إلى العرش؛ كان أنور وأنزه وأشرف مما بعد عنه، ولهذا كانت جنة الفردوس أعلى الجنان وأشرفها وأنورها وأجلها؛ لقربها من العرش، إذ هو سقفها وكل ما بعد عنه كان أظلم وأضيق، ولهذا كان أسفل سافلين شر الأمكنة وأضيقها وأبعدها من كل خير[١].

العرش أول المخلوقات

أخبر تعالى أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام وعرشه حينئذٍ على الماء[٢]. وهذه واو الحال، أي خلقها في هذه الحال فدل على سعة العرش والماء للسماوات والأرض، وفي الصحيح عنه ﷺ قال: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**»[٣] وأصح القولين أن العرش مخلوق قبل القلم لما في السنن من حديث عبد الله بن عمرو قال: «**قال رسول الله ﷺ أول ما خلق الله القلم قال: اكتب قال: ما اكتب؟ قال: اكتب القدر، فجري بما هو كائن إلى يوم القيامة**»[٤] وقد أخبر أنه قدر المقادير وعرشه على الماء وأخبر في هذا الحديث أنه قدرها في أول أوقات خلق القلم، فعلم

---

(١) «الفوائد»، ص [٤٤].

(٢) يقصد بذلك قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

(٣) رواه مسلم برقم [٢٦٥٣].

(٤) رواه أبو داود برقم [٤٧٠٢] والترمذي برقم [٢١٥٥] وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم [٢٠١٨].

أن العرش سابق على القلم، والقلم سابق على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة[١].

العرش سقف الجنة:

الجنة مقببة أعلاها وأوسعها وأوسطها هو الفردوس وسقفه العرش، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[٢] قال شيخنا أبو الحجَّاج المزي: والصواب رواية من رواه وفوقه بضم القاف على أنه اسم لاظرف أي وسقفه عرش الرحمن.

فإن قيل: فالجنة جميعًا تحت العرش والعرش سقفها فإن الكرسي وسع السماوات والأرض والعرش أكبر منه. قيل: لما كان العرش أقرب إلى الفردوس فما دونه من الجنات بحيث لا جنة فوقه دون العرش كان سقفًا له دون ما تحته من الجنان، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئًا فشيئًا درجة فوق درجة كما يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها وهذا يحتمل شيئين: أن تكون منزلته عند آخر حفظه، وأن تكون عند تلاوته المحفوظة. والله أعلم(٣).

الوسيلة أقرب درجة إلى العرش:

سميت درجة النبي ﷺ الوسيلة؛ لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن وهي أقرب الدرجات إلى الله وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب وهي فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه، ومعني الوسيلة من الوصلة ولهذا كانت أفضل الجنة

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة [٣٥٢] وكون العرش أول المخلوقات هو قول الجمهور كما في فتح الباري (٦/ ٢٨٩)، والبداية والنهاية (١/ ٩).

(٢) رواه البخاري برقم [٢٧٩٠].

(٣) «حادي الأرواح» [٦١-٦٢] ط دار الحديث.

وأشرفها وأعظمها نورًا وقال صالح بن عبد الكريم: **قال لنا فضيل بن عياض**: أتدرون لم حسنت الجنة؟ لأن عرش رب العالمين سقفها.

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس: نور سقف مساكنكم نور عرشه. وقال بكر عن أشعث عن الحسن: إنما سميت جنة عدن؛ لأن فوقها العرش ومنها تفجر أنهار الجنة(١).

وفي الصحيحين من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ: النِّدَاء اللَّهُمَّ رب هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ والصَّلاةِ القَائِمَة، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفضِيلَةَ، وَابعْثه مَقَامًا مَحْمُودًا الّذِي وَعَدْتَه، حَلَّت لَهُ الشَّفَاعةُ يَوْمَ القِيَامَة**»(٢)(٣).

استواء الرحمن على العرش:

قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:٥].في سبع آيات من القرآن حقيقة عند جميع فرق الأمة إلا الجهمية ومن وافقهم فإنهم قالو: هو مجاز(٤) والإجماع منعقد على أن الله سبحانه استوى على عرشه حقيقة لا مجاز قال الإمام أبو عمر الطلمنكي أحد أئمة المالكية وهو شيخ أبي عمر بن عبد البر في كتابه الكبير الذي سماه الوصول إلى معرفة الأصول فذكر فيه من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم وأقوال مالك وأئمة أصحابه ما إذا وقف عليه الواقف علم حقيقة مذهب السلف وقال في هذا الكتاب: أجمع أهل السنة على أن الله تعالى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز.

---

(١) «حادي الأرواح» [٥٧]،ط: دار الكتب العلمية.

(٢) رواه البخاري برقم [٦١٤]، ومسلم برقم [٣٨٤].

(٣) السابق نفس الصفحة.

(٤) «مختصر الصواعق المرسلة» [٣٤٨].

وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر في كتاب (التمهيد) في شرح حديث النزول: وفيه دليل على أن الله تعالى في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وقرر ذلك إلى أن قال: وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا المجاز[١] إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك[٢].

عن ابن عيينة قال: سئل ربيعة عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ومن الله تعالى الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق[٣]، قيل لابن المبارك: كيف نعرف ربنا؟ قال بأنه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه[٤]. ومما استحسن من كلام مالك أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[٥].

لماذا قرن الاستواء باسم الرحمن؟

الله سبحانه يقرن استواءه على العرش بهذا الاسم كثيرًا كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩]. فاستوى على عرشه باسم الرحمن، لأن العرش محيط بالمخلوقات، قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق

(١) والاستواء معلوم المعني فمعناه علا وارتفع، وهو مجهول الكيف، والسؤال عن الكيف بدعة والإيمان باستواء الله على عرشه واجب.

(٢) التكييف: اعتقاد كيفية معينة لصفات الله تعالى؛ والمنفي هنا هو إدراك الكيفية، فالكيف مجهول: أي هناك كيفية وحقيقة لصفات الله ولكننا لا نعلمها.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية [٧٠] - دار الكتب العلمية.

(٤) السابق ص ٧١.

(٥) إعلام الموقعين (٤/ ٢٤٦- ٢٤٧) ط، دار الجيل - بيروت.

واسعة لهم كما قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات فلذلك وسعت رحمته كل شيء وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما قضي الله الخلق في كتاب فهو عنده موضوع على العرش: إن رحمتي تغلبت غضبي. وفي لفظ: فهو عنده على العرش**»[1] فتأمل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة، ووضعه عنده على العرش وطابق بين ذلك وبين قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وقوله ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]؛ ينفتح لك باب عظيم من معرفة الرب تبارك وتعالى[2].

❁❁❁

(١) رواه البخاري برقم [٧٤٠٤]، ومسلم برقم [٢٧٥١].

(٢) «التفسير القيم» ص [٥٣] ط: الصفا.